على لساني ، قوله
جزاك الله عن ذا السعي خيرا ، ولكن جئت في الزمن الاخير
فلا سنا نفس في ذراك عمرا ثانيا ، ولا عدة الزمان بابعادي عن
عدوتك عاديا ، ولا انه ادركني ما مضى من عمري بصرف ما بقي في
خدمتك ، والتشبث بغرزك ، ولا احسن ذلك اعزازي وقاني
واعلى مقاماتي ، واشرف حالاتي ، ولكن ما يقصم ظهري ، الا
كتبي التي افنيت فيها عمري ، وصرفت جواهر علومي في تصنيفها
وظمئت نهاري وسهرت ليلي في ترصيعها ، وذكرت فيها تاريخ الدنيا
من بدئها ، وسير ملوك شرقها وغربها ، ولئن ظفرت بها
لاجعلنك واسطة عقدهم ، وخلاصة نقدهم ، ولاطرزن
بسيرك خلع دهرهم ، ولاصيرن دولتك هلال جبين عصرهم
اذ انت ابو المفاخر ، والبائع بدره فصره في شرق الغرب من
دياجير الملاحم ، والكاشف بزعلي لسان كل ولي ، والمشار اليه في
الزوايج والجفر المنسوب الى امير المؤمنين علي ، وصاحب القران
المنتظر في اخر الزمان ، وهي في القاهرة فلو حصلت عليها ما فارقت
ركابك ، ولا هجرت اعتابك ، والحمد لله الذي زفني الى من يعرف
قيمتي ، ويحرز خدمتي ، ولا يضيع حرمتي ، مع كلام فصيح
صادع ، بديع بليغ خالب خادع ، فاهتزت فرحا اعطافه ،
وتراقصت مرحا اطرافه ، واعجبه ذلك واغراه ميله الى كتب
التواريخ والسير ، واستهواه حبه معرفة احوال الملوك الذي
ذكر ، حتى شدة عاطلبه ، بسحر هذا البيان البديع وسلبه ، ثم
انه استوصفه بلاد الغرب وممالكها ، واستوضحه اوضاعها
ومسالكها ، وقراها ودروبها ، وقبائلها وشعوبها ، كانه يود انه
وشانه ، والقصد في ذلك امتحانه ، لانه لم يكن محتاجا لذلك ، اذ
في خزائن تصوره صور جميع الممالك ، وانما اراد بذلك معرفة

معدا

الغرب

مقدار علمه ، وكيفية ابداء نصحه له وكتمه ، فاملى كل ذلك من طرف
لسانه ، كانه يشاهده وهو جالس في مكانه ، وشرح تلك
الامور ، كما في خاطر تيمور ، ثم قال له كيف تذكرني وبحث بنصر مع
الملوك الاكابر ، ولم ينل في النسب تلك المفاخر ، وما نحن من
يعاسيب النحل ، فاني تعينا مع النحل ، فقال افعالكما البديعه
اوصلتكما الى تلك المنزلة الرفيعه ، فاعجبه هذا الكلام ، وقال الجماعة
اقتدوا به فانه امام ، ثم اخذ تيمور يخبر القاضي بما وقع في بلاده
وماجرى بين ملوك الارض واجناده ، ولا ازال يذكر له اخبار الناس
حتى سرد عليه اخبار متعلقيه واولاده ، فتحير القاضي من ملائه ،
وقال ان الشيطان ليوحي الى اوليائه ، ثم ان تيمور عاهد القاضي ان
يتوجه الى القاهره ، وياخذ اهله واولاده وكتبه الزاهره ، ولا
يلبث اكثر من مسافة الطريق ، ويرجع اليه بامل فسيح وعهد بتبيل الاماني
وثيق ، فتجهز الى صفد ، واستراح من ذلك النكد

فصل

وكان تيمور محبا للعلماء ، مقربا للسادات والشرفاء ، يعز العلماء
والفضلاء اعزازا تاما ، ويقدمهم على كل احد تقديما عاما ، وينزل
كلا منهم منزلته ، ويعرف له اكرامه وحرمته ، وينبسط اليهم
انبساطا ممزوجا بهيبة ، ويبحث معهم بحثا مندرجا فيه الانصاف
والحشمة ، لطفه مندرج في قهره ، وعنفه مندمج في بره ،

شعر

متفرق الطعمين مجتمع القوى ، فكانه السراء والضراء

وقيل

مر المذاق على اعدائه بشع ، حلو الفكاهة للاصحاب كالعسل
وكان مغرما بارباب الصناعات والحرف ، اي صناعة كانت
اذا كان لها خطر وشرف ، يبغض بطبعه المضحكين والشعراء ،